

## مسار سيدنا إبراهيم

رانية عطا الله

مراسلة الصحيفة/ القدس

"لا أستطيع أن أقول إنها فكرتي؛ فهي حلم الجميع أن يمشي على هذه الطريق. وهذه الفكرة ملك العالم، والمجتمعات المحلية القائمة على مسار سيدنا إبراهيم عليه السلام". هكذا بدأ وليام وري، عالم الآثار والجغرافيا، والمدير العام لمبادرة مسار سيدنا إبراهيم، ويتابع حديثه عن أصل الفكرة قائلاً: "أردت أن أجمع بين الحضارة والتاريخ والعراقة، وحبى لممارسة رياضة المشي، من خلال طريق واحد يجمع البشرية ويوحدها".

وتعتبر مبادرة "مسار سيدنا إبراهيم" الأولى من نوعها في منطقة الشرق الأوسط، وعلى الصعيد العربي والإقليمي، وتسعى إلى تعميق التبادل الثقافي بين الأمم، وبث روح التفاهم الحضاري؛ "من خلال تحفيز السياحة الاقتصادية المستدامة في المناطق والدول التي يمر فيها هذا المسار"، وسيشق هذا المسار طريقه من مدينة حوران على الحدود التركية السورية، ليمر في مدينة حلب السورية، باتجاه العاصمة دمشق، ومن ثم إلى عمان؛ ثم ليخترق ظلام ليل القدس في وضوح النهار، لينتهي في مدينة خليل الرحمن؛ بين أحضان الحرم الإبراهيمي الشريف.

ويؤكد القائمون على المبادرة عزمهم على أن يشمل المسار جميع المناطق التي شملتها رحلة سيدنا إبراهيم في كل من العراق ومصر والحجاز ومكة المكرمة. حيث يقول رائد سعادة؛ رئيس جمعية الفنادق، وصاحب فندق الجروسلم في القدس، وممثل المؤسسات السياحية والثقافية الفلسطينية: "لقد أطلقنا على المبادرة اسم النبي إبراهيم لعدة أسباب؛ أهمها أن منطقة الشرق الأوسط تتميز بارتباطها دينياً؛ فقد تواجد جميع الأنبياء على هذه الأرض".

وقد رأى المنظمون أن البناء على السياحة الدينية سيؤسس بنية تحتية صلبة لهذا المسار، إضافة إلى أن سيدنا إبراهيم هو الأب الأكبر للديانات السماوية الثلاث؛ الإسلامية والمسيحية، واليهودية، فكان القائمين على المشروع يحاولون أن يوصلوا للناس رسالة واحدة، هي "أنهم من أصل واحد؛ فعلام تتنازعون؟!".

ويؤكد سعادة على أن الهدف الرئيس من المبادرة سياحي بحت، وليس دينياً، فيقول: "النقاش الديني في مبادرة مسار سيدنا إبراهيم غير مطروح بتاتا، غير أن التأمل والروحانيات ستكون موجودة بقوة".

وستحاول هذه المبادرة تجنب النقاش الديني والسياسي، "لعلمنا بتاريخ منطقة الشرق الأوسط المليء بالاضطرابات السياسية والدينية".

وهذا ما يؤكد وري حيث يقول: "رغم أننا أطلقنا على مبادرتنا اسم سيدنا إبراهيم تيمناً به، إلا أنها مشروع غير ديني، وإنما يهدف إلى خلق قطاع سياحي مستقر في منطقة الشرق الأوسط، لتطوير الاقتصاد المحلي أولاً، ومن ثم خلق منبر إنساني وثقافي يساهم في تبادل الثقافات واستيعابها".

### الفلسطيني على المحك

فلسطين جزء طبيعي من بلاد الشام، ومنطقة تاريخية، تقع شرق البحر الأبيض المتوسط، وتصل بين عربي آسيا وشمال إفريقيا، عبر شبه جزيرة سيناء؛ نقطة التقاء القارتين.

وقد أنجبت أرضها الأنبياء على مر التاريخ الإنساني؛ فهي أرض الأنبياء، التي استقبلت نجمة البشارة يوم ولد السيد المسيح في بيت لحم. حكمها اليونان والرومان والفرس والمسلمون، ووقعت تحت نير الانتداب البريطاني، الذي مهد الطريق للاحتلال الصهيوني.

ورغم ذلك لم تمح آثار العمالقة، وحافظ عليها جيل وراء آخر، ورويت قصص رحلة سيدنا إبراهيم وزوجته سارة وعائلتهما، من مدينة نابلس إلى بيت إيل "بيتين"؛ قرب رام الله، ومن ثم إلى مثواه الأخير في مدينة الخليل.

يقول فرديريك مايسون؛ منسق مبادرة سيدنا إبراهيم في فلسطين: "نحن اليوم نحاول دراسة الأماكن التي عاش فيها، وتنتقل فيها سيدنا إبراهيم؛ من أجل إعادة رسم الطريق الذي سار عليه النبي إبراهيم وزوجته وعائلته".

غير أن ذلك لا يمنع من إدخال تغيير على هذا المسار ليضم مواقع جديدة، وذلك "لأننا لا نعلم بالضبط أي طريق سلك سيدنا إبراهيم في رحلته"، ويوضح قائلاً: "نحن نعلم بأنه عاش في مدينة نابلس، وبيت إيل، والخليل، وهنا وهناك، وفي كل زاوية ومكان في فلسطين؛ لذلك سيضم القائمون على المشروع قرى وبلدات فلسطينية داخل المسار؛ كسبسطية في شمال الضفة الغربية، وبلدة بيرزيت، وقرية جفنا... الخ".

حتى يومنا هذا لم يتم تجهيز أي خرائط، أو مخطط لسير المسار في فلسطين. غير أن المنخرطين في مجال السياحة بفلسطين يدفعون باتجاه أن تشمل الخريطة قرى ومدن مجاورة لمسار إبراهيم الخليل.

ويشير سعادة إلى أنه يدفع باتجاه ضم عدد من القرى الفلسطينية المجاورة للمسار، وتعريف المشاركين على المسارات المحلية التي بدأ الفلسطينيون بالعمل عليها؛ "بههدف إيجاد نوع من التقاطع بينها وبين مسار سيدنا إبراهيم".

ومن المتوقع أن يبدأ المسار من بلدة سبسطية؛ شمال الضفة الغربية، لتتقاطع مع مدينة نابلس، مروراً ببلدة بيرزيت، وقرية جفنا، وصولاً إلى القدس وبيت لحم، وليعرج على برك سليمان، وارطاس، وحلحول، وينتهي بمدينة الخليل؛ حيث دفن سيدنا إبراهيم.

وحول إذا ما كانت هذه المبادرة ستغير من نمط الحياة المواطن الفلسطيني الذي يقطن قرب من المسار، فإن فرديريك يطمئن السكان المحليين قائلاً: "نحن لا نسعى تغيير نمط حياة المواطن الفلسطيني، بل إلى تحسين وتطوير الوضع الاقتصادي؛ من خلال مساعدة المواطنين على الاستثمار فيما يملكون من ممتلكات ومنتجات وحرف يدوية قديمة... الخ"، حيث يمكن للمواطن العادي أن يحول بيتاً قديماً يملكه إلى فندق صغير، يجذب السائح، أو مطعم شعبي بمذاق فلسطيني. ويتابع: "نحن لا نسعى إلى جلب استثمارات من الخارج لتوفير إقامة في فنادق ضخمة ومطاعم فخمة".

ويعتقد المنظمون بأن من الضروري إشراك الشباب الفلسطيني في مسيرة إحياء مسار سيدنا إبراهيم؛ كفرصة حقيقية ليتعرفوا على وطنهم فلسطين. يقول فرديريك: "يعيش الشباب الفلسطيني ظروفًا سياسية صعبة للغاية، تحول دون قدرتهم على الحركة والتنقل بسهولة من قرية إلى أخرى، ومن مدينة إلى أخرى. وهذه الطريق تمنحهم الفرصة للتعبير عن رفضهم لهذه القيود، والتحرر من نيرها".

كما سيمنح المسار فرصة لطلبة المدارس والجامعات الفلسطينية للتعرف على سيرة سيدنا إبراهيم، وأسلوب حياة السكان الأصليين في المناطق المختلفة، وطبائعهم، إضافة إلى الاستمتاع بالتنوع البيئي والجغرافي، ودارسته عن كذب. حيث يقول رائد سعادة: "هذه المبادرة ستمنح المواطن الفلسطيني فرصة جديدة. وقد لا تكون خطوة كبيرة، إلا أنها ستعطي صورة مختلفة تماماً عن الفلسطيني؛ لأن السائح سيلتقي مع الإنسان الفلسطيني البسيط في القرى والبلدات التي سيمر منها المسار، وليس مع من يدير السياسة. وعليه؛ فإن صورة الفلسطيني على المحك".

وبما أن صورة الفلسطيني على المحك، فهل هناك من يمكنه أن يزيل الغبار عنها؟ وماذا سيكون موقف المواطن العادي، الذي يقطن على جنبي المسار؟ وهل سيمكن الاحتلال المشاركين من الوصول إلى نبينا الخليل إبراهيم؟ أم ستوقف حواجزه وجنوده وإجراءاته المشاركين على مداخل القرى والبلدات، وبوابات الحرم الإبراهيمي؟!